ان الرب لم يزل معطلا لا يفعل شيئا ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ثم انه ابدع جواهر
من غير فعل يقوم به وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئا بل انما يحدث صفات
تقوم بها ويعدمها ويعيدها هذا قول اهل الملل الانبيا واتباعهم وبينهم
وبين الفلاسفة في مثل هذا نزاع اخطا فيه كل من الفريقين فان الفلاسفة
يقولون باثبات المادة والصورة ويجعلون المادة والصورة جوهرين وهولاء
يقولون ليست الصورة الا عرضا قائما بجسم والتحقيق ان المادة والصورة لفظ
يقع على معان كالمادة والصورة الصناعية والطباعية والكلية والاولية
فالاول مثل الفضة اذا جعلت درهما وخاتما وسبيكة والخشب اذا جعل
كرسيا واللبن والحجر اذا جعل بيتا والغزل اذا نسج ثوبا ونحو ذلك
فلا ريب ان المادة هنا التي يسمونها الهيولى هي اجسام قائمة بنفسها
وان الصورة اعراض قائمة بها فتحول الفضة من صورة الى صورة هو
تحولها من شكل الى شكل مع ان حقيقتها لم تتغير اصلا وبهذا يظهر
لك خطا قول القائل انه من اثبت افتقار المحدث الى الفاعل بالقياس
على حدوث الذوات قال هنا كذلك وهذه الطريقة طريقة علي
والي هاشم ومن وافقهما فيقال هولاء انما قاسوا على افتقار الكتابة
الى الكاتب والبنا الى البان ونحو ذلك ومعلوم ان البنا والكاتب لم يبدع جسما
وانما احدث في الاجسام تاليفا خاصا وهو عرض من الاعراض فكيف يجعل
مثل هذا محدثا للذوات ويجعل الذي خلق الانسان من نطفة والشجرة
من نواة انما احدث الصفات لكن المعتزلة لا يقولون ان الجسم يحدث
جسما وانما يحدث عرضا والثاني من معاني المادة والصورة هي الطبيعة
فهي صورة الحيوانات والنباتات والمعادن ونحو ذلك فهذه ان
اريد بالصورة فيها نفس الشكل الذي لها فهو عرض قايم بجسم وليس

هذا

هذا مراد الفلاسفة وان اريد بالصورة نفس هذا الجسم المتصور فلا
ريب انه جوهر محسوس قايم بنفسه ومن قال ان هذا عرض قايم بجوهر
من اهل الكلام فقد غلط وحينئذ فيقول المتفلسف ان هذه الصورة
قائمة بالمادة والهيولى ان اراد بذلك ما خلق منه الانسان كالمني وهو لم
يرد ذلك فلا ريب ان ذاك جسم اخر فسد واستحال وليس هو الان
موجودا بل ذاك صورة وهذا صورة والله تعالى خلق احدهما من الاخر وان
اراد ان هنا جوهرا قايما بنفسه غير هذا الجسم المشهود الذي هو صورة و
ان هذا الجسم المشهود الذي هو صورة وان هذا الجسم المشهود الذي هو
صورة قائم بذلك الجوهر العقلي فهذا من خيالاتهم الفاسدة ومن
هنا تعرف قولهم في الهيولى الكلية حيث ادعوا ان بين اجسام العالم جوهرا
قائما بنفسه تشترك فيه الاجسام ومن تصور الامور عرف ما يقول وعلم
انه ليس بين هذا الجسم المعين وهذا الجسم المعين قدر مشترك موجود
في الخارج اصلا بل كل منهما متميز عن الاخر بنفسه المتناولة لذاته و
صفاته ولكن يشتركان في المقدارية وغيرها من الاحكام اللازمة به
للاجسام وعلم ان اتصال الجسم بعد انفصاله نوع من التفرق والتفرق
والاجتماع هما من الاعراض التي يوصف بها الجسم فالاتصال والانفصال
عرضان والقابل لهما نفس الجسم الذي يكون متصلا تارة ومنفصلا اخرى
كما يكون مجتمعا تارة ومفترقا اخرى ومتحركا تارة وساكنا اخرى وهذا
مبسوط في غير هذا الموضع قال الرازي والطريقة الخامسة وهي عنده
التحقيق عائدة الى الطرق الاربع وهي الاستدلال بما في العالم من الاحكام
والاتقان على علم الفاعل وهو بالدلالة على ذاته اولى قلت والمقصود هنا
التنبيه على ان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق الموافق لصريح المعقول

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)